مقدمة المؤلف

— ١ —

« أنت قوي يا ابراهيم ،
وأبوك محمد علي أقوى منك ،
والسلطان محمود أقوى من أبيك ،
ولكن الله .. أقوى منكم جميعاً ! »[١]

بهـذه الكلمات المتفجرة من القلب ، خاطب الإمام عبد الله ابن سعود ، بعد سقوط الدرعية ، خصمه المنتصر ، ابراهيم باشا ، في اجتماع حضره كبار القـادة العسكريين ، وبذلك تحـدّى صلف ابراهيم باشا ، المزهو بقوته وذكّره بضعف البشر ، مهما يبلغ جبروتهم ، أمام الله سبحانه ، الذي يملك وحـده القوة التي لا تزول ولا تقهر !



صورة الامام عبد الله بن سعود التي نشرها «هوغارث» وأخذها عنه ويندر وغيره من المؤلفين العرب والأجانب وهي تشبه الصورة الاولى التي تخيلها رسام أنكيري

---

(١) وجدنا هذه الكلمات في الرسالة التي بعث بها (روسيل) قنصل فرنسا في مصر ، في عهد محمد علي ، الى وزارة الخارجية الافرنسية ، وهي محفوظة في وثائق الوزارة بباريس .

يقول « دليل الخليج الفـــارسي » The Gazeteer of the Persian Gulf – الصفحة ١٠٨٩ – إن الإمام عبد الله بن سعود كان ، في اجتماعه مع ابراهيم باشا ، (محافظاً على كرامته ومقامه ، وإن لم يستطع إخفاء شعوره المكبوت ..

وقد اشترط ابراهيم باشا على الإمام عبدالله أن يسافر إلى مصر ، فطلب منه الإمام أن يمهله أربعاً وعشرين ساعة للتفكير في الأمر ، ففعل ، وكان يخشى خلال ذلك أن يهرب الإمام إلى الصحراء ، ولكن الإمام عاد .. **وأعلن استسلامه ، بشرط أن تُضمن حياة أهل نجد الذين اشتركوا معه في القتال وأن تُصان بلدة الدرعية من الدمار .)**

بهذا اللقـاء – أو الصلح .. أو الاستسلام .. – انتهى عهد الإمام عبد الله ابن سعود ، ولكن المنتصرين الذين صالحوه وارتضوا بشرطيه غـــدروا .. فلم يصونوا حياة المقاتلين ، ودمّروا الدرعية ، وقتلوا الإمام في استانبول ، فذهب مع الشهداء .

توفي الإمام سعود يوم الاثنين ١١ جمادى الاولى سنة ١٢٢٩ هـ . فخلفه ابنه البكر الإمام عبد الله بن سعود ، في غمرة الحروب القـائمة بين جيوش محمد علي وابنه طوسون ، من جهــة ، وبين المجاهدين من رجال الدولة السعودية الاولى من جهة ثانية ، وقد استمرت هــذه الحروب ، تتخللها فترات قصيرة من المهادنات ، طول ولاية عبد الله ، بحيث يصح القول إن ولاية عبد الله كانت كلهـــا ملحمة ، بدأت قبل توليه الإمامة وقيادة الجيوش ، وانتهت باستسلامه في منتصف شهر ذي القعدة من سنة ١٢٣٣ هـ . أي أربع سنوات ونصف السنة .

— ٢ —

هذا الكتاب ..

كتبت صفحات منه بمداد امتزج فيه الدمع بالحبر ..

ذلك أنها تروي ..

.. **قصة مدينة فاضلة** — الدرعية — استشهدت بين أيدي مغامرين مأجورين ، لا يعرفون للقيم الدينية والانسانية معنى ..

.. **قصة حضارة** بدأت تتنفح في قلب الصحراء ، كما تتفتح أزاهير الربيع ، فهبّ عليها إعصار صوّحها وكاد يقتلعها من جذورها ..

.. **قصة الامة العربية**، التي أشرقت شمسها مرة اخرى من هنا ، من الدرعية ، بعد أن غابت طويلاً في ظلمات الشعوبية ، والجهل، والتآمر، والإنحلال، والطغيان.. وألوان الفساد التي كانت تمثلها الامبراطورية العثمانية في عهودها المتأخرة !

.. **إنها قصة نهاية الدولة السعودية الاولى** ، التي وضع أسسها في نجـد : الداعية المصلح ، الإمام محمد بن عبد الوهاب ، والأمير العربي النبيل ، المعروف بالوفـاء والمضاء : محمد بن سعود .



صورة الإمام عبد الله بن سعود كما نشرها « أنكيري »
في كتابه (ابراهيم باشا) الموضوع باللغة الفرنسية ،
ويبدو لنا أن هذه الصورة من صنع رسام .. لم يحسن
تصوير وجه الإمام ، لأنه كان جميلاً جداً . وهــــذه
الملاحظة تنطبق أيضاً على الصورة التي نشرها هوغارث.

رأى السلطان العثماني أن هذه الدولة حمت تحت راية التوحيد أكثر جزيرة العرب ، وبلغت من القوة مبلغاً عظيماً ، وأنها في طريقها إلى استعادة مجد الأمة العربية في أحسن أيامها، وأنها سوف تحرر البلاد العربية الخاضعة للسلطان العثماني كالشام والعراق ومصر ، بعد أن حررت الحجاز وحرمت السلطان من لقب عزيز : خادم الحرمين !

... ارتعدت فرائص السلطان العثماني في استانبول واهتزّ كرسي عرشه من تحته ، واستبدّ به الخوف .. ولكن السلطان لم يكن قوياً بنفسه ، فالتمس من ينقذه من هذا (الكابوس) المرهق ، فلم يجد إلا رجلاً مغامراً يستجيب لرغباته، وهو : (محمد علي).. مغامر أرناؤوطي ، لا يعرف اللغة العربية ، كان تاجر (تنباك) ، ثم أصبح رئيساً لعصابة من المحاربين .

جاء محمد علي الى القاهرة في ظروف عصيبة ، واستطاع بالمكر والرشوة أن يتولى الزعامة في مصر ، ثم استطاع أن يتخلص من (المماليك) الذين كانوا يسيطرون على الحكم ، بمذبحة رهيبة سالت فيها الدماء أنهاراً ، فلما فرغ من ذبح المماليك، مستعيناً عليهم بأبناء وطنه (الأرناؤوط)، انصرف الى التفكير في الخلاص من الأرناؤوط، حتى لا يستفحل أمرهم.. فقتل بعضهم وأرسل بعضاً الى الحجاز ليموتوا هناك ، وجمع جيشاً من (المرتزقة) من كل جنس، ومن الفلاحين المصريين البؤساء الذين ساقهم بالسياط .. وأرسل كل هؤلاء تباعاً الى الحجاز ، ليستولوا على الأرض المقدسة ويعيدوا الى السلطان العثماني لقباً عزيزاً فقده ولقاء هذه الخدمة .. كان محمد علي يطمع بأن يعطيه السلطان ولاية الشام بمواردها الكثيرة، ويطلق يده في أرض اليمن، يستولي على بنها الثمين ويحتكر بيعه في العالم، فتاجر التنباك ، لم تتغير (شخصيته) بعد توليه الحكم في مصر ، وصعوده من الحضيض الى القمة ، ولكنه أراد ان يضيف الى تجارة التنباك : تجارة البن !

أليست مأساة — مهزلة .. ان يتولى حرب الدولة السعودية الأولى ، باسم الدين والعروبة .. مغامر كان همه إطفاء نورها والقضاء على حملة لوائها ؟!..

ولكن الله سبحانه وتعالى لطف بهذه الدولة المؤمنة ، بعد محنة ، فنهض زعيم

شجاع من آل سعود ، وهو الإمام تركي بن عبد الله ، بتحرير بلاده من الغزاة ، ورفع راية التوحيد وأسس الدولة السعودية الثانية ، واتخذ الرياض قاعدة لها ، وسيكون ذلك موضوع كتابنا القادم ، إن شاء الله .

— ٣ —

ولاية الامام عبد الله بن سعود

هل بويع عبد الله بولاية العهد ؟

جرت العادة ، في الدولة السعودية الأولى ثم في االدولة السعودية الثانية حتى وفاة الامام عبد الله بن فيصل ، على مبايعة الأبناء بالإمامة بعد الآباء ، ولو كان في الأسرة من هو أكبر من ابن الإمام سناً وأخطر شأناً،ثم تغير الأمر في أواخر الدولة السعودية الثانية ، حين تعاقب أبناء الإمام فيصل بن تركي على الإمامة ، وهم أخوة ... ومضى الأمر على هـــذا الأسلوب بعد وفاة المغفور له الملك عبد العزيز ، مؤسس المملكة العربية السعودية ، رحمه الله .

ليس معنى ذلك أن الإمامة منصب وراثي ، كان للأبناء ثم أصبح للأخوة ، فالإمامة في البلاد العربيـة السعودية ، لا تشبه الملكيات الوراثية الأخرى في بلاد الشرق والغرب ، وإنمـا هي أسلوب خاص من الحكم يتميز باتباع القواعـد الشرعية المرعية في الاختيار والبيعة ، بل هو نوع من الانتخاب يتم عادة على مرحلتين :

المرحلة الأولى : تسمية الإمام القائم لولي عهده ، وأخـذه البيعة له من أصحاب الحل والعقد ومن الجماهير .

المرحلة الثانية : البيعة (أو تجديد البيعة وتوكيدها) لولي العهد حين يدعى الى تولي الامامة ، بعد وفاة سلفه الامام القائم .

والواقع إن المرحلة الأولى ليست ضرورية ، فقد يموت الامام قبل تسميته لولي عهده ، وفي هـــذه الحالة يختار أصحاب الحل والعقد إماماً لهم ويبايعونه وتبايعه الجماهير بعدهم ، ولكن أكثر الأئمة السعوديين حرصوا على تسمية أولياء عهدهم ، قطعاً لاختلاف المتنافسين على الخلافة بعدهم ، فأصبح ذلك كالقاعدة أو « العرف الدستوري » !

فهل بويـع الامام عبد الله بن سعود بولاية العهد، في حياة والده ، ثم جددت له البيعة إماماً بعد وفاة أبيه ، أم أنه بويـع بالامامة ابتداءً ؟

لم يذكر لنا ابن بشر ولا غيره من مؤرخي نجد متى تمت مبايعة عبد الله بن سعود بولاية العهد، ويكتفي ابن بشر بالقول إن المسلمين بايعوا، بعد وفاة الامام سعود ، ولي عهده ابنه عبد الله .. ووصف عبد الله بأنه ولي عهد أبيه ، يعني أن البيعة أخذت له في حيــاة أبيه سعود ، ولكن شيئاً من الشبهة يحوم حول ذلك لسببين :

الأول : ما قيل من منافسات وقعت بين عبد الله وبين عمه واخوته حول إمامته .. مما يحمل على الظن بأن هؤلاء لم يلتزموا ببيعته من قبل !

الثاني : أن ابن بشر ، عند كلامه عن ولاية سعود ، قال :

(وفي هــذه السنة توفي الامام سعود ... جدّدت له البيعة في الدرعية في اليوم الذي قتل فيه أبوه) ..

وهكذا يرى ابن بشر في ولاية الامام سعود « تجديداً » لبيعة سابقة أخذت له بولاية العهد .. وهو لم يقل ذلك عند كلامه عن مبايعة عبد الله ، وإنما قال إن المسلمين بايعوه ... فمن المحتمل أنهم بايعوه ابتداءً لا تجديداً وتوكيداً لبيعة سابقة ...

مبايعة عبد الله بن سعود بالامامة :

إن لم يكن الأمير عبد الله بن سعود قد بويع بولاية العهد في حيـــاة أبيه الامام سعود ، وهو أمر تشككنا فيه ، وقـــد يكون شكنا في غير موضعه ، فالشيء الثابت هو أن الامام سعود كان يقـدم ابنه عبد الله على سائر اخوته ، وكان يكل اليه أحياناً قيادة الجيوش أو شن الغارات – وهو الأسلوب المتبّع عند الأئمة في التمهيد لخلافتهم – وكان عبد الله ، إلى ذلك ، أكبر أبناء سعود وأعلمهم ، ولعله كان أعقلهم أيضاً .. ويبدو أن سيرته كانت أقرب الى قلوب رجال الدين والشعب من سيرة اخوتـه الآخرين ، وأخص منهم أولئك الذين خالفوا أوامر أبيهم وذهبوا الى عمان يشنون الغارات ، ويجمعون الأموال ..

وخلاصة القول: إن الناس اتجهوا بقلوبهم وأبصارهم بعد وفاة الامام سعود الى ابنه البكر الأمير عبد الله بن سعود .

كيف بلغته وفاة أبيه وبايعه الجمهور :

توفي الامام سعود يوم الاثنين ١١جمادي الأولى سنة ١٢٢٩ في مدينة الدرعية وكان ابنه عبد الله يومئذ غائباً عن الدرعية ، في جهات الحجاز ، ومعه مقاتلون كثيرون من كل النواحي ، يغير بهم على بوادي حرب ، الذين انضموا الى صفوف الأعداء .. وقد بلغته وفاة أبيه وهو نازل على ماء « الخانوقة » ، في عالية نجد ، فقام الشيخ علي بن الشيخ بتعزيته وتعزية الناس وبايعه ، ثم بايعه الحاضرون من المقاتلين وغيرهم ، ثم تابع سيره الى الدرعية ، حيث بايعه أهلها ووفدت عليه الوفود من سائر الجهات تبايعه وتؤيده .

قال ابن بشر في أخبار سنة ١٢٢٩ :

(وفيها سار عبد بن سعود ، رحمه الله بجميـع المسلمين من أهل نجد ، الحاضرة والبادية ، خرج من الدرعية أول السنة ، فاجتمع عليه جميـع النواحي ، وقصد جهة الحجاز – وذلك قبل وفاة أبيه سعود رحمه الله – ومعه علي بن الشيخ ،

رحمه الله تعالى ، فأغار على بوادي حرب ، وهم في الحيرة قرب « صفينة » ، القرية المعروفة في تلك الناحية ، فأخذ عليهم إبلاً وغنماً كثيرة ، ونزل بالغنائم صفينة ، وقفل منها فلما وصل الى (الخانوقة) ، المـــاء المعروفة في عالية نجد بلغته وفاة أبيه ، وهو نازل عليها ، فلم يشعر المسلمون بذلك حتى قرأ بهم علي بن الشيخ في صلاة الفجر بسورة الجمعة والمنافقين ، فلمـا بلغ قوله تعالى : ﴿ قل إن الموت الذي تفرّون منه فإنه ملاقيكم ﴾ فهمَ منه بعض الناس من لفظه بالآيات وفاة الإمام ، لأنهم يعلمون أنه مريض ، فلما فرغ من الصلاة قـام الشيخ علي في الناس ووعظهم موعظة بليغـة وعزّاهم واستشهد بهذه الآية وأورد عليها كلام العلماء والمفسرين ، فانتحب الناس بالبكاء .

ثم قاموا وبايعوا عبد الله ، على دين الله ورسوله والسمع والطاعة .

.. وقفل عبد الله من موضعه ذلك إلى الدرعية .)

— ٤ —

الحركة الثقافية والحركة الاقتصادية والاجتماعية

كان عهـــد الامام عبد الله بن سعود سلسلة موصولة من المعارك ، لم تدعه يتفرغ لرعاية النهضة العلمية والاجتماعية ، ولكننا نرى أن « تباطؤ » النهضة بسبب الحروب لا يعني توقفها وانقطاعها تماماً ، فقد بقيت جذوة التعليم الديني متوقدة ، وكنا أشرنا -- في كتابنا عن الامام سعود الكبير — الى أن الدولة السعودية الاولى سبقت العالم كله ، اقتداءً بسنة النبي ﷺ ، **الى وضع مبادىء مكافحة الأمية ، والزامية التعليم** ، وذلك أن الإمام سعود كلّف أمير كل بلد أن يختار عدداً من سكان البلدة ويلزمهم بالتعليم ويعطيهم من المال ما يكفيهم .

وكان آل الشيخ، الذين ظهر فيهم علماء من الطبقة الاولى ، في طليعة العاملين على نشر التعليم ، وكان في كل بلد عدد من العلماء يقومون بتدريس العلوم الدينية والعربية في المساجد أو في الدور ، وكانت بلدة الدرعية أكبر مراكز التعليم الديني في الدولة السعودية الاولى، فكان طلاب العلم يفدون اليها من كل الجهات، وأكبر الظن أن الحركة العلمية كانت قاصرة على علوم الدين ، وخصوصاً التفسير والحديث والفقه الحنبلي ، وأما العلوم التي يقال لها العلوم « الكونية » فلم يكن لها وجود ، لاشتغال الناس بالحروب .

لا نعرف إن كانت الطباعة البدائية ، على الحجر ، عُرفت في الدرعية ،

فنحن لم نجـد إشارة الى ذلك في أي كتاب ، ولذلك كانت المؤلفات تعتمد في نشرها على الوراقين الذين يكتبون منها نسخاً معدودة يتداولها الناس ، وربمـا طبعت أوائل الكتب النجدية في الهند أو العراق ، وكان طلبة العلم يستوردون المؤلفات الفقهية المشهورة من الشام والعراق ومصر .

ولم يظهر ، فيما نعلم ، شعراء من الطبقة الاولى في تلك الفترة ، وأكثر الشعر الذي قرأناه تغلب عليه المسحة الدينية ، وكان للشعر النبطي ، العامي ، مقام ، فكان يُنشد في مجالس الأمراء والأعيان ، وكان الأمراء أنفسهم ينظمون الشعر النبطي ، ولا نستطيع ، على كل حال ، أن نتكلم عن حركة شعرية ذات بال في الدولة السعودية الاولى ، والله أعلم !

الحركة الاقتصادية :

نزلت بالدولة السعودية ، في عهد سعود الكبير ، مجاعة دامت عدة سنوات، ويقول ابن بشر إن الجوع في نجـد اشتد على الناس (ولكن الله جعل لهم الأمن العظيم في نواحيهم ،يسافر الرجل الى أقصى البلاد من اليمن وعمان والشام والعراق وغير ذلك ولا يخشى أحـداً إلا الله ، وصارت الدرعية لهم ردءاً كأنها البصرة والأحساء ، فمن أتاها بنفسه أو عياله وسع الله عليه دنياه) .

وهكذا كانت الدرعية ،بما توافر لها من موارد مالية وما يأتي اليها من أرزاق، في عيش رغيد، وكانت تفيض من خيراتها على من يفد عليها من البلدان الاخرى المحرومة ، وكان الناس يشترون حاجتهم من الطعام وغيره من البلدان الأخرى بسهولة لشيوع الأمن وسلامة الطرق، ولم يعمد الإمام سعود الى « تسعير » المواد الغذائية والأكسية وغيرها ، ولكنه كان يمد المحتاجين بالمعونات المالية والغذائية التي تضمن لهم ضرورات المعيشة ،وبذلك عرفت الدولة السعودية الاولى نوعاً من **« الضمان الاجتماعي » ، فكان الأئمة يتعهدون المنكوبين والأيتام والأرامل والفقراء** ويجرون عليهم من بيت المـال ، وكانوا يفعلون مثل ذلك طبعاً لطلبة العلم حتى يستطيعوا التفرغ للدرس ، وكل هـذا يُعدّ مساهمة حسنة في تخفيف الأزمات الاقتصادية التي كانت تجتاح البلاد بسبب القحط .

ـ ٥ ـ

وثائقنا ومراجعنا

كان مرجعنا الأول والمفضل ، في تحقيق أخبار هذا العهد : تاريخ ابن بشر ، ولكننا لم نكتف به ، كما فعل كثير من المؤلفين غيرنا ، ولم نكتف كذلك بزيادة يسيرة عليه نقتبسها من هنا وهناك .. وإنما رجعنا الى الوثائق التي وجدناها في استانبول ، ولندن ، وباريس ، والى كتب ومجلات ومجموعات نادرة طالعناها بصبر وجلد لنظفر منها ، بعد عناء ، بالواقعة التاريخية الصحيحة ، والكلمة المفيدة النافعة ، والرأي الحصيف ، ولولا رعاية صاحب الجلاله ، الملك فيصل المفدى ، وتشجيعه لنا وعطفه علينا ، لما استطعنا المضي في هذا العمل الكبير ، فالشكر لجلالته أول واجب علينا ، وإن كان ، أطال الله عمره ، يجد في الخير الذي يسديه الى الناس مسرة أعظم من سرور الناس بما أحسن اليهم ، وكذلك شأن الأئمة النبلاء وقادة الشعوب العظماء .

ولا يفوتنا كذلك اسداء الشكر الى صاحب المعالي ، وزير المعارف ، الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ ، الذي عرف ما يستوجبه تحقيق التاريخ السعودي من جهد ، فلم يبخل علينا بمؤازرته وتشجيعه ، بل تلطف أحياناً بقراءة ما كتبناه وأمدّنا بما عنده ــ وهو عالم ــ من ملاحظات وتصويبات ، جزاه الله خيراً كثيراً .

ونعود الى الوثائق ... لنقول ، في غير فخر ، ووضعاً للأمور في مواضعها : اننا أول مؤلف عربي كشف عن الوثائق العربية والتركية المحفوظة في استانبول والتي تتصل بالتاريخ السعودي ، وقد أشرنا الى ذلك في الجزء الأول من كتابنا (تاريخ البلاد العربية السعودية) [1] ، وكنا كذلك اول من كشف عن وثائق ومراجع كثيرة نادرة تتصل بهذا التاريخ وجدناها في لندن وباريس وغيرهما من البلدان الغربية والشرقية ، ولما عدنا من رحلاتنا قلنا لمعالي وزير المعارف ،بكل صراحة ،اننا تركنا أعداداً كبيرة جداً من الوثائق والمراجع لم نستطع لا تصويرها ولا نسخها ولا تلخيصها،فتفضل معاليه بانتداب الأديب الفاضل الشيخ محمد أمين التميمي الذي يحسن اللغة التركية ، للسفر الى استانبول ولنـــدن لتصوير تلك الوثائق ففعل وصوّر شيئاً منها ، وعاد ، ولما ينتهِ ... فالمسألة فوق جهد الفرد الواحد ، فضلاً عن الرحلة الواحدة !

.. ان الأمل معقود الآن بدارة الملك عبد العزيز ، التي يترأسها معالي الوزير لاستكمال جمع الوثائق التاريخية ، وتصنيفها وترجمتها ، وتلخيصها ، والقيام على دراستها والإفادة منها ، ووضعها بين ايدي الباحثين، وفق الله كل عامل مخلص، وكل جندي من جنود النهضة العظيمة القائمة في المملكة .

قيمة الوثائق :

ليست الوثائق زينة .. تُعرَض في المعـارض .. ولكنها تُستخدم في تحقيق الوقائع التاريخية ، والكشف عما أغفـــله المؤرخون أو أخطأوا فيه .. بل هي مادة التاريخ الموثوقة ، ولولا عنايتنا بهذه الوثائق وبالمراجع النادرة أو المطوية .. لما اختلف كتابنا عن الكتب التي صدرت قبله !

وسيدرك القارىء ، عنـــد مطالعته لكتابنا ، قيمة الوثائق والمراجع التي استعنّا بها على إخراج هذا الكتاب .

---

(١) ترجم لنا أكثر هذه الوثائق عن التركية الأستاذ فوزي هنانو ، وقد تصرفنا قليلاً بترجمته الحرفية محافظين ما استطعنا على سلامة المعنى ، شاكرين لسيادته ولغيره ممن اشتركوا في ترجمـــة النصوص التركية ، حسن مؤازرتهم .

وحَسْبُنا ، بعدُ ، أننا خطونا إلى الأمام خطى متواضعة.. ومهّدنا الطريق قليلاً لمن يؤلف بعدنا ، ويتجاوزنا ، ولكننا نعترف بأننا لم نبلغ الغـاية المنشودة ولا دنونا منها .. فهناك وثائق كثيرة لم نطلع على شيء منها ، وخصوصاً مـا هو موجود منها في مصر .

أما ما نشرناه في كتابنا من الوثائق المصرية فقليل جداً ، أخذناه عن كتاب الاستاذ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (الدولة السعودية الاولى) ، وما زلنـا في شك من صحة الرسائل التي ينسبها المؤلف الفاضل إلى الإمام عبد الله ابن سعود ، فأسلوب كتابتها يختلف كثيراً عن الاسلوب المألوف في نجد في تلك الأيام،ويستبعد أن يصدر عن الإمام عبدالله بن سعود مثل الكلام الذي تضمنته، وإنا لنرجو أن نوفق إلى التثبت من هذا الأمر والحصول على مزيد من الوثائق في الطبعة الجديدة لهذا الجزء ، وفي الأجزاء التالية من كتابنا ، والله الموفق !

— ٦ —

المعـــارك

في عهد الامام عبد الله بن سعود

قلنا إن عهد الإمام عبد الله بن سعود كان سلسلة موصولة من المعـارك التي خاضها ضد محمد علي وابنه طوسون وابنه البكر ابراهيم .

معارك محمد علي :

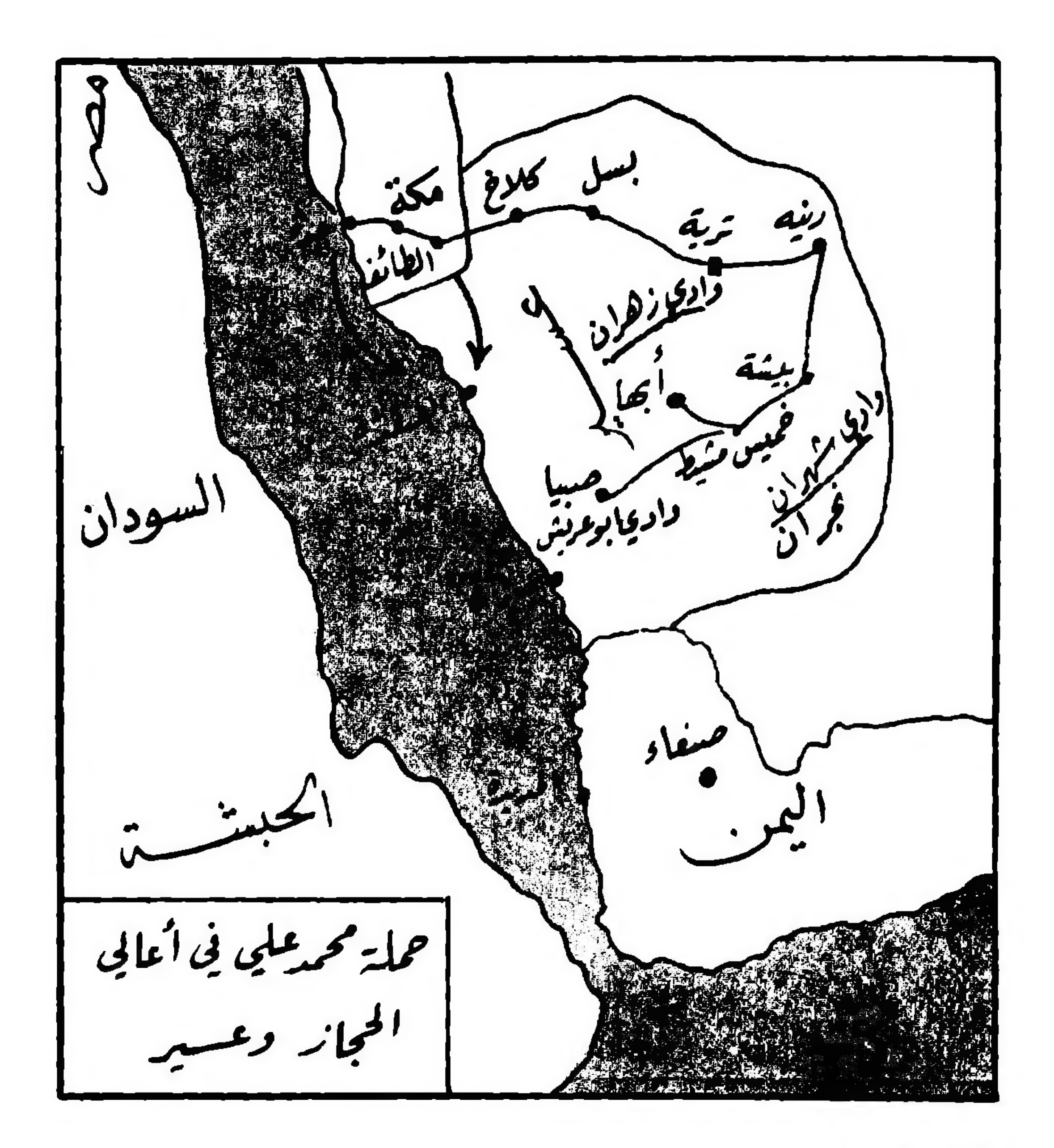
فأما محمد علي ، الذي ذكرنا في كتابنا السابق « عهد الإمام سعود الكبير » قصة مجيئه الى الحجاز ،فيمكننا تلخيص ما فعله منذ بدأت ولاية الإمام عبدالله ، في شهر جمادى الاولى ١٢٢٩ هـ. (١٨١٤ م.) حتى عودته (أي عودة محمد علي) الى مصر في رجب ١٢٣٠ هـ. (حزيران ١٨١٥ هـ.) كما يأتي :

١ — أرسل حملة كبيرة الى القنفذة ، تمهيداً للزحف الى اليمن ، فاستولت على البلدة ولكنها اضطرت الى الفرار منها ومنيت بخسائر جسيمة .

٢ — أرسل حمله أكبر من الاولى — قدر عدد أفرادها بعشرين ألف مقاتل — إلى وادي زهران ، فمنيت أيضاً بهزيمة شنيعة .

٣ — ثم حارب الجيوش التي يقودها فيصل بن سعود ، في « بسل » فتغلب عليها ، فسار الى « تربة » واستولى عليها بسهولة بعد أن أعجزته .. ثم استولى على بلدان عسير كلها ..

وتوضح لنا هذه الخارطة التي رسمناها خط مسيرة حملات محمد علي في أعالي الحجاز — ابتداءً من الطائف — وفي بلدان عسير .



حملة محمد علي في أعالي الحجاز وعسير

معارك طوسون :

لم يستطع طوسون ، خلال مقام والده في الحجاز ، تحقيق أي انتصار ، اللهم إلا استعادته « الحناكية » من السعوديين ، وقد أمره أبوه ، عند عودته الى مصر ، بالبقاء فيها والتوقف عن الحركة .. ولكنه أراد أن يصنع شيئاً يفاجىء به أباه فأرسل الرسل معهم الأموال والهدايا والعهود والضمانات الى أهل الرس والخبرا وبعض القرى فاتفقوا معه وأدخلوه بلدانهم سلماً .. ولما استعد

الإمام عبد الله لمحاربته ورأى طوسون عجزه عنه صالحه وتراجع الى الحناكية ، واتفق مع الإمام على خط يفصل بينهما بحيث يكون ما بعد الحناكية للإمام ، وما دونها لطوسون .. وبعد عقد هذا الصلح غادر طوسون الحجاز الى مصر في شهر شعبان ، أي بعد عودة أبيه بأسابيع قليلة !

معارك ابراهيم :

بعد فترة الهدنة ، التي غاب فيها محمـــد علي وابنه طوسون عن الحجاز ، واستمرت سنة ، أو أكثر ، جهَّز محمد علي حملة جديدة بقيادة ابنه ابراهيم باشا ، كان الغرض منها الاستيلاء على الدرعية ، لا الإكتفاء بالحجاز .. وقـــد فصلنا أخبار هـــذه الحملة ، وتبين لنا الخارطة مسيرة جيش ابراهيم باشا ابتداء من الحناكية حتى الدرعية .

